حقيقة الاسلام

للمستشرق الإنجليزى (ر . هـ . نولت)

عرضه الأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ
المدرس بمدرسة أحمد عرابى بأسيوط

— ٢ —

٢ — عوامل النجاح :

إن العقيدة الإسلامية تحتم القواعد السابق توضيحها لأنها هى القواعد الأساسية فى الاسلام ، غير أن هناك شعائر وعبادات يرى كثير من المسلمين أن أداءها لوجه الله فيه أداء جزء كبير هام من عقيدتهم الثابتة التى يؤمنون بها ، وهم يضمنون سلامة عقيدتهم وصحة إسلامهم حتى ولو لم يقوموا بهذه الشعائر قياماً كاملا على أتم وجه ومع ذلك فهم يتسابقون فى أدائها . والمسلم الحق هو الذى يعتقد كما يعتقد بقية المسلمين ويفعل كما يفعلون ويؤدى مايؤدون من فروض وواجبات ونوافل .

وأنا عندما أقول هذا لا يظنن ظان أنى أصف المسلمين بعدم الإخلاص لدينهم وبأنهم إنما يؤدون مافرض عليهم الإسلام ليقيموا ستاراً يخفون به نقصاً فى عقيدتهم .

وأنا لم أقل هذا من ذات نفسى لأنه قد حدث فعلا . . . ولكن من جماعة صغيرة من الهراقطة الذين أصابهم الاضطهاد فى السنوات السابقة .

أما الآن فإن أغلبية المسلمين لانقدم على شىء من هذا ولو كان قليلا لايعتد به ، حتى لايعدوا منافقين فى دينهم ، فإن الله قد أعد آخر طبقة من الجحيم وهى السابعة لمن ينافق فى دينه :

« إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا »

وقد كفل القبول الضمنى للشعائر والعبادات على أنها لانقل أهمية عن العقيدة .

وللإسلام درجة كبيرة من التسامح والتساهل التى جعلت المسلمين يطمئنون إلى دينهم كما أشار بذلك النبى .

« إن الدين يسر فأوغل فيه برفق ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه » .

ومعنى هـذا أنه أباح قبول مجموعة من المعتقدات العامة التى لاتمس روح الدين ولا جوهره ولم يمنع ممارستها بعد ذلك .

وهذه المعتقدات حسب قوة العقيدة وعقلية المسلم وإيمانه بدينه ، تتدرج من أولى مراحل الروحية حتى أرفع درجات التصوف الخفية التى لا يدركها إلا الواصلون الذين تجردوا عن كل ما يحويه العالم المـادى .

وهذا ما كفل للإسلام نجاحاً دائما من جهة أنه دين حيوى قدير .

وتختلف طبقات المسلمين فمنها من تستطيع أن تنقص أو تقرر أو تتقن آداء أهم النقاط من تعاليم الإسلام الأساسية ، حتى ولو كان فى هذا العمل ما يتعارض مع شعائر الإسلام ومعتقداته الصحيحة الجازمة .

فنرى المتصوفين مثلا يقدسون الأولياء عملا بقول الله فى القرآن .

« ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون » .

وهذا مالا يتفق مع عقيدة الوحدانية التى يؤمن بها المسلمون جميعاً ، ومع ذلك لا نستطيع أن نحكم بأنهم مارقون لأن قيامهم بآداء الفرائض الدينية العامة يجعلهم قريبين جداً من المعتقدات الدينية الحاسمة التى ترسى قواعد الإسلام الأساسية .

٣ — قواعد الإسلام :

أهم هذه القواعد هى مايطلق عليه (أركان الإسلام) وهى خمسة .

وأول هذه الأركان هو إيمان المسلم أن الله واحد لا إله غيره ولا يستحق العبادة سواه لأنه هو الذى خلقه من العدم وصوره فأحسن صورته . . . ثم تـكفل برزقه أيا كان فى أى مكان ، كما أنه يعلم ماتوسوس به نفسه . . . وأن محمداً رسول الله الذى بعثه ربه ليهدى الناس ويرشدهم إلى طريق الحق والصواب بعد أن كانوا يضربون فى ظلمات من الجهل والـكفر وبعد أن أشرفت البشرية على الفناء .

ولا يخفى مافى اقتران اسم النبى باسم ربه فى ركن واحد ، من رفع لمكانة النبى عند ربه وعند أتباعه . وهذه القاعدة تعتبر القاعدة الأساسية بين القواعد الخمس لأنها هى الأساس الذى تترتب عليه بقية القواعد الأخرى .

أما القاعدة الثانية فهى تكلف المسلم الصلاة فى أوقات محددة خمس مرات فى الليل والنهار ، إما وحده وإما فى جماعة ولو أنه صلى فى جماعة لكان أفضل، ولا يؤدى المسلم الصلاة إلا بعد أن يكون على أتم وجه من النظافة والنقاء ، لذلك فهو إما أن يغتسل أو يتوضأ لأنه سيقف بين يدى ربه الذى يعرف كل شىء عنه ما ظهر منه وما خفى .

وعند ما يبدأ الصلاة يتجه إلى مكة حيث بيت الله الحرام الذى يقدسه المسلمون والذى أمرهم الله بالاتجاه إليه فى قوله :

« فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره » .

ثم يرفع يديه إلى أذنيه علامة أنه قد ترك الدنيا وما فيها وراء ظهره لاصلة له بها وأنه لايعنيه منها شىء فى موقفه هذا .

ثم يفتتح الصلاة بذكر الله الكبير قائلا (الله أكبر) .

ثم يؤدى الركعات والسجدات بنظام معين وهو يقرأ بعض آيات القرآن .

هذه القاعدة فوق أن المسلم يعتقد أنها الصلة بينه وبين ربه وأنها تطهير للروح والبدن ، فهى عمل صحى نظامى ، فما بالك بإنسان يغسل وجهه وأطرافه المعرضة للهواء وما فيه من أتربة وجراثيم خمس مرات فى اليوم ، لاشك أنه سيحتفظ بمسامها مفتحة وبها سليمة(١)

وفى هذه القاعدة رياضة بدنية حيث فيها كل يوم سبع عشرة ركعة تحتوى كل ركعة على حركات تترك الجسم الذى يعتادها سليما معافى . فإن كانت الدول الحديثة

---

(١) يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن أمتى يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل) .

ويقول: (أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شىء؟ قالوا ، لا يبقى من درنه شىء . قال عليه السلام ، فكذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله به الخطايا)

قد اعتنت بالرياضة وجعلتها جزءا من برنامجها التعليمى ، فإن الإسلام قد أولاها أكبر عناية إذ جعلها جزءا من عبادته وما أروع أن يقوم رجل واحد وخلفه مئات يؤدون الحركة التى يؤديها لا يشذ عنهم واحد ، كما يشاركهم كثير من غيرهم فى مختلف البقاع التى يوجد فيها مسلمون .

وما أجمل أن يتجه المسلمون جميعا فى بقاع الأرض إلى جهة واحدة فى وقت واحد يقولون كلمة واحدة ويؤدون حركة واحدة ، إنه النظام الذى تفرضه الصلاة على المسلمين والروعة والجمال التى لا توجد فى أى دين آخر .

أما القاعدة الثالثة من قواعد الإسلام فهى أداء الزكاة إذ لا بد أن يعطى الغنى الفقير فضلا من ماله الذى منحه الله له من خزائنه التى لا تنفد ، ولتنظيم هذه العملية حتى لا يحصل عليها من لا يستحقها ، فإن الغنى يتحتم عليه أن ينزل من جزء من ماله كل عام لبيت المال الذى يقوم بدوره بتوزيعها على المحتاجين وذوى الحاجه .

والزكاة تعتبر قرضا من المسلم لربه ، يرجو أن يضاعفه له يوم القيامة أضعافا كثيرة ، ويطهر بها نفسه وماله فالله يأمر نبيه محمدا بأخذها منهم فيقول :

« خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » .

كما أن الغرض منها محو الفاقة والاستجداء مما يجده المرء فى البلاد الإسلامية الآن نتيجة لعدم تنظيم هذه الفريضة كما كانت فى عصور الإسلام الأولى ، ولم يكن توزيع الزكاة قاصرا على الفقراء المسلمين فقط ، بل إنه كان يشمل المسلمين وغيرهم ، فقد كان عمر أحد خلفاء المسلمين يسوى فى الانتفاع بهذه الزكاة بين المسلم وغير المسلم .

رأى عمر شيخا ضريرا يمر على الأبواب يتكفف الناس ويسألهم الإحسان . ولما سأل عمر عنه قيل له إنه يهودى ، فأمر به فلما مثل بين يديه سألة عمر : ماذا ألجأك إلى ما أرى ؟

فقال الرجل : الجزية والحاجة والسن يأمير المؤمنين .

وهنا أخذ عمر بيد الرجل وانطلق به إلى منزله فأعطاه ما يكفيه ذلك اليوم ، ثم أرسل إلى خازن بيت المال يقول له : (انظروا هذا وأمثاله . فو الله ما انصفناه إن

أكلناشبيبته ثم نهمله عند الهرم ... إنما الصدقات للفقراء والمساكين . وهذا مسكين من مساكين أهل الكتاب) .

وقد كان لهذا أثره فى تحقيق الضمان الإجتماعى فى أماكن لا تزال الدولة مسئولة فيها عن تحقيقه ، بينما فكرته لا تزال غير كاملة النضج ولم تعرفها أكثر دول العالم فى ذلك الوقت .

فما أعظم هذا الدين الذى يحتم على أبنائه دفع جزء من مالهم للفقراء المحتاجين من غير أبناء ملتهم .

أما القاعدة الرابعة فهى الصيام الذى يمتنع فيه المسلم عن الأكل والشرب وعن إتيان بعض الأمور الأخرى التى يراها المسلم منافية لآداب الصوم ، وذلك من وقت طلوع الفجر حتى مغيب الشمس ، شهرا كاملا كل سنة ، وهو شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن على النبي محمد .

وهذه القاعدة يجوز أن يعفى منها المسلم لعذر مقبول ، على أن يؤديها بعد زوال بعد هذا العذر وقد أوضح القرآن هذا العذر فقال :

(ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) .

وهذا نوع من التيسير الذى اتصف به الإسلام وأباحه لمتنقيه . أما أولئك الذين يتعمدون انتهاك حرمة هذا الشهر فإن الله قد أعد لهم عذاباً أليماً فى الآخرة مالم يتوبوا عن معصيتهم ويؤدوا كفارة إفطارهم اليوم ، بستين يوماً ، ومع ذلك فالله سبحانه تيسيراً لهم لم يحتم عليهم عملا واحداً ولم يلزمهم شيئاً يعجزون عنه ، بل خيرهم بين إطعام ستين مسكينا أو تحرير رقبة مؤمنة . أو صيام شهرين متتابعين .

وهناك أيام أخر يستحب فيها الصيام ، غير رمضان ويعتبر أداؤها من كمال الإيمان ، وفى هذه القاعدة رياضة روحية عظيمة لأنها تعلم المسلم الصبر وتحمل الشدائد وكيف أنه يكبح جماح نفسه التى دائماً ما تدفع صاحبها إلى إطاعة الشيطان ، فإننا نجد المسلم فى هذا الشهر يقهر نفسه ويخضعها لمشيئته .

(البحث مستمر) .